فلسفة ما بعد الحقيقة وأبعادها السياسية

أ.د.صلاح فليفل عايد الجابري
كلية الآداب/ جامعة بغداد
قسم الفلسفة

DOI: 10.31973/aj.v3i138.1808

(مُلَخَّصُ البَحث)

يقول أوغسطين: "عندما تسقط أهمية الحقيقة في نظر الناس أو تصعف، فإن كل شيء يصبح عرضة للشك"

ويقول نيتشة في كتابه إرادة القوة: هناك أنواع كثيرة من العيون – حتى أبو الهول له عيون. وهناك أنواع كثيرة من "الحقائق" وبالتالي لا توجد حقيقة.

استخدمنا في هذا البحث منهجية عرض الموضوع بطريقة مختلفة هذه المرة، طريقة يلعب فيها الخيال دوراً تعليمياً أساسياً، وفحوى هذه الطريقة هو التقديم للموضوع من طريق عرض الأمثلة على شكل قصة خبرية قصيرة لتعطي الذهن مادة للتفكير والتقييم، وفي مرحلة لاحقة يجري التنظير للموضوع على مستوى التصور وعلى مستوى البرهان أو الاستدلال بشكل عام. وسوف نجري تحليلاً فلسفياً وتأريخياً لعصر بدت فيه الأكاذيب تحتل موقعاً في أساليب المعاملات السياسية والاجتماعية وللأسف تعدت ذلك إلى المستوى العلمي. ففي السياسة يسوَّغ الكذب تحت ذريعة الغاية تبرر الوسيلة، وتحتل التبريرات الذاتية موقع الحقيقة الموضوعية، وبلغ الإسفاف في المجال السياسي إلى تحويل الكذب إلى واقع عبر استخدام عامل القوة أو السلطة، فعادت السلطة صانعاً للحقيقة المزيفة، واقع في أساسه وهمي يصار إلى تحقيقه وإيهام مجتمع ما بحقيقته. وفي المجال الاجتماعي عادت الأكاذيب المزوقة والمدعومة بجيوش من العماء الاجتماعي الافتراضي تمثل حقائق عند الناس ولا يسألون عن مسوغات التصديق بها ولا مصادر انبثاقها؛ لأنهم لا يكلفون أنفسهم عناء البحث عن أصولها ومصادرها بسبب بعد تلك المصادر واختلاط المعلومات عبر تداولها الافتراضي بادعاءات ومواقف نفسية وتحيزات عاطفية دينية أو عرقية. وللأسف غزى هذا اللون من الخلط بين الحق والباطل والصدق والكذب مجال البحث العلمي فعاد الكثير من طلاب المعرفة المستعجلين والأميين ثقافياً وعلمياً يمارسون بحوثاً مزيفة ذات مصادر وهمية زائفة، ويدعون نشاطات علمية وهمية عبر وسائل التواصل الاجتماعي. وقد ساعد على ذلك المعايير العلمية الهابطة لرسائل الماجستير والدكتوراه التي بلغت حداً لا يطاق تزيف فيها

الحقائق وتباع الرسائل في مكاتب الطباعة والاستنساخ الخاصة وانتشار من يمتهنون صناعة هذا الزيف في متاجر الطباعة والاستنساخ في عموم العراق. يقدم هذا البحث قواعد انذار مبكر لهذا التزييف الذي يتعامل مع الأكاذيب كحقائق، وشيوع قناعات لا تستسيغ الحقائق وتجعل الأكاذيب لمجرد كونها ترضي الذات حقائق، وتنفر من الحقائق الموضوعية لكونها لا ترضي الذات أو قد تتصادم مع مصالح ذاتية.

وعلى الرغم من أن هذا البحث يتخذ عنوان فلسفة ما بعد الحقيقة (كمجرد زعم وادّعاء) إلا أنه ينتهي إلى نتيجة أنه لا توجد فلسفة ولا قواعد منطقية لما بعد الحقيقة، أعني الزيف والهراء والأكاذيب، والقواعد الفلسفية عموماً بنيت من أجل الحقيقة فقط، ولا يوجد منطق واقعي للزيف والكذب، لأن الكذب لا يعكس حقاً واقعاً، بل هو مفهوم عدمي.

قال تعالى: "**بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**" (الأنبياء، ١٨).

الأمثلة التوضيحية:

المثال الأول: في إجراء تاريخي، قام موقع تويتر للمرة الأولى بإرفاق معلومات مستقلة لتدقيق الحقائق مباشرة لتغريدتين للرئيس دونالد ترامب.. تتضمن تغريدتا الرئيس ادعاءات كاذبة تزعم أن الاستخدام الأوسع للبريد في بطاقات الاقتراع سيؤدي إلى زيادة في تزوير الناخبين. هذه ليست المرة الأولى التي نشر فيها ترامب أكاذيب على تويتر. لكنها المرة الأولى التي تتخذ فيها شركة وسائل التواصل الاجتماعي إجراءات ضد حسابه.

تكسب الشركة بعض الوقت بهذه الخطوة، ولكن من المرجح أن يراقب الجمهور عن كثب أفعالها مع اقتراب الانتخابات الرئاسية. بعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام ٢٠١٦، أصبح الأمريكيون أكثر وعياً بمدى فضفاضة قواعد المعلومات الخاطئة والدعاية على وسائل التواصل الاجتماعي – وهم يبحثون عنها من جميع المصادر المحتملة، بما في ذلك البيت الأبيض.[١]

المثال الثاني: في العاشر من مايس من كل عام تحتفل الكثير من المناطق في الولايات المتحدة بيوم الشعوب الأصلية، لكن الكثير غيرها يعرف العيد الفيدرالي بيوم كولومبوس. قبل أكثر من ٥٠٠ عام، اشتهر رجل يُعرف باسم كريستوفر كولومبوس بشيء لم يفعله أبداً، حتى أنه لم تطأ قدمه قارة أمريكا الشمالية، ناهيك عن "اكتشافها". ولكن ربما ينبغي أن يكون كولومبوس سيئ السمعة أكثر بسبب أفعاله.

إنه لأمر مدهش تلك القصص غير المتوازنة التي يرويها الأميركان من أجل تجاهل أو إنكار حقيقة غير مريحة. ففي الوقت الذي يواصلون فيه الاحتفال في عالم منفصل عن

ماض زائف، مليء بالرجال والوحوش وقسوتهم الاستعمارية، يجري تدمير ثقافات كاملة بلغاتها ومعارفها وعلمها على طول الطريق.

بعد أن ضاع كولومبوس في مكان ما في جزر البهاما، ساعده شعب أراواك الودود الذي استقبله حاملاً الطعام والمياه والهدايا، حتى أن كولومبوس نفسه كتب عن دماثة أخلاقهم.

لكن كولومبوس ردَّ على كرمهم بالسخرية من "جهلهم" بأشياء لم يسبق لهم رؤيتها من قبل، مما أجبرهم على أن يكونوا عبيداً له، وطالبهم بقيادته إلى مصدر الذهب الذي صنعت منه أقراطهم. شرع كولومبوس ورجاله في ارتكاب أعمال وحشية، لتدمير هؤلاء السكان المسالمين، فكانوا لا يتوانون في طعن هؤلاء الهنود وقطع شرائح من لحومهم لاختبار حدة شفرات سيوفهم. كتب أحد زملائه يدعى بارتولومي دي لاس كاساس: "هذه الوحشية ارتكبت تحت ناظري، شاهدتُ بعينيَّ هذه الأفعال الغريبة على الطبيعة البشرية لدرجة أنني أرتجف منها الآن أثناء كتابتي. ترك بارتولومي دي لاس كاساس العالم على الفور ليصبح كاهناً[٢].

بمجرد أن تعرف هذه القصة التي تخض المعدة، من الصعب أن تتخيل كيف يمكن الاحتفال بهذا الشخص، الذي عامل سكاناً بأجمعهم على أنهم أقل من بشر.

المثال الثالث: ففي نهاية شهر آذار من عام ٢٠١٤ غزت وحدات روسية خاصة لا تحمل شارة الجيش أوكرانيا واحتلت المنشآت الرئيسية في شبه جزيرة القرم. أنكرت الحكومة الروسية والرئيس فلاديمير بوتين شخصياً بشكل متكرر أن يكون أولئك جنوداً روسيين، و وصفهم بمجموعات الدفاع الذاتي الذين ربما حصلوا على تجهيزات عسكرية شبيهة بالجنود الروسيين من الأسواق المحلية. وفي الوقت الذي أعربوا فيه عن هذا الزعم غير المعقول فإن بوتين ومساعديه كانوا على علم تام بأنهم يكذبون.

يستطيع القوميون الروس تبرير هذه الكذبة بالقول بأنها تخدم المصلحة العليا. كانت روسيا منشغلة في حرب عادلة وإذا كان من المقبول لها أن تقتل لسبب عادل، فبالتأكيد من المسوّغ لها أن تكذب أيضاً؟. السبب الأعلى الذي يسوغ التدخل في أوكرانيا هو حفظ الأمة الروسية المقدسة. واستناداً إلى الأساطير القومية الروسية فإن روسيا كيان مقدس متواصل منذ آلاف السنين على الرغم من تدخل أعداء وحشيين لاحتلالها وتفكيكها[٣].

يبدو أننا نعيش بالفعل في عصر ما بعد الحقيقة المرعب، عندما لا تكون مجرد حوادث عسكرية معينة، بل قد يجري تزوير تواريخ وأمم بأكملها. ولكن إذا كان هذا هو عصر ما بعد الحقيقة، فمتى كان عصر الحقيقة الهولسيونية ؟ هل في الثمانينيات؟ أم الخمسينات؟ أم الثلاثينات؟ وما الذي أثار انتقالنا إلى حقبة ما بعد الحقيقة – هل هو الإنترنت؟ أم وسائل

التواصل الاجتماعي؟ أم صعود بوتين وترامب؟ تكشف نظرة خاطفة على التاريخ أن الدعاية والتضليل ليسا جديدين، وحتى عادة إنكار دول بأكملها وإنشاء دول وهمية لها تاريخ طويل.

المثال الرابع: في عام ١٩٣١، شن الجيش الياباني هجمات وهمية على نفسه لتسويغ غزوه للصين، ثم أنشأ دولة مانشوكو المزيفة لإضفاء الشرعية على غزواته. نفت الصين نفسها منذ وقت طويل وجود التبت كدولة مستقلة. وجرى تبرير الاستيطان البريطاني في أستراليا من خلال العقيدة القانونية لـ terra nullius (أرض لا أحد) ، والتي حطمت فعلياً ٥٠٠٠٠ سنة من تاريخ السكان الأصليين[٤].

المثال الخامس: في أوائل القرن العشرين، وتحت شعار صهيوني مفضل عن عودة شعب بلا أرض [اليهود] إلى أرض بلا شعب [فلسطين] جرى تجاهل وجود السكان العرب المحليين بشكل ملائم للشعار.

في عام ١٩٦٩ قالت رئيسة الوزراء الإسرائيلية غولدا مائير بشكل علني إنه لا يوجد شعب فلسطيني ولم يكن قط. هذه الآراء شائعة جداً في إسرائيل إلى وقتنا الراهن، وهذا يعني أن عقوداً من النزاعات المسلحة كانت ضد شيء ما غير موجود. على سبيل المثال، في فبراير ٢٠١٦، ألقت النائب عنات بيركو كلمة في البرلمان الإسرائيلي شككت فيها في واقع وتاريخ الشعب الفلسطيني. و برهانها؟ أن الحرفp غير موجود في العربية، فكيف يكون هناك شعب فلسطيني؟ (بالعربية ، يشير حرف F إلى P ، والاسم العربي لـ بلستين Palestine هو فلسطين[٥]).

المثال السادس: في الواقع، عاش البشر دائماً في عصر ما بعد الحقيقة. يمثل نوع الإنسان العاقل نوع (ما بعد الحقيقة)، الذي تعتمد قوته على خلق وتصديق الخيال. و منذ العصر الحجري، عملت الخرافات ذاتية التعزيز على توحيد التجمعات البشرية. و في الواقع، غزا الإنسان العاقل هذا الكوكب قبل كل شيء بفضل القدرة البشرية الفريدة على خلق ونشر القصص الخيالية. نحن الثدييات الوحيدة التي يمكنها أن تتعاون مع الكثير من الغرباء؛ لأننا الكائنات الوحيدة التي يمكنها ابتكار قصص خيالية حولها، ونشرها، وإقناع الملايين من البشر الآخرين للتصديق بها. و طالما كنا نؤمن جميعاً بالقصص الخيالية نفسها، فإننا جميعاً نطيع نفس القوانين، وبالتالي يمكننا التعاون بشكل فعّال.

لذا إذا ألقيت اللوم على فيسبوك أو ترامب أو بوتين لدخولهم حقبة جديدة ومخيفة من ما بعد الحقيقة، فذكر نفسك أنه منذ قرون حبس ملايين المسيحيين أنفسهم داخل فقاعة أسطورية معززة ذاتياً، ولم يجرؤوا أبداً على التساؤل حول صحة الحقائق الكتابية. و طوال آلاف السنين، كان معظم ما تم تمريره من "الأخبار" و "الحقائق" في الشبكات الاجتماعية البشرية عبارة عن قصص عن المعجزات والملائكة والشياطين والسحرة، حيث يقدم

الصحفيون الجريئون تغطية مباشرة عن أعمق الحفر في العالم السفلي. ليس لدينا أي دليل علمي على أن حواء قد تم إغرائها من قبل الثعبان، وأن أرواح جميع الكفار تحترق في الجحيم بعد وفاتهم، أو أن خالق الكون لا يحب أن يتزوج البراهمة من المنبوذ – ولكن هناك مليارات من الناس يؤمن بهذه القصص منذ آلاف السنين. و بعض الأخبار المزيفة تستمر إلى الأبد[٦].

المثال السابع: في الآونة الأخيرة، خلقت كل دولة أساطيرها الوطنية الخاصة بها، في حين أن حركات مثل الشيوعية والفاشية والليبرالية شكلت عقيدة متقنة تعزز الذات. يُزعم أن جوزيف جوبلز، مايسترو الدعاية النازية وربما أكثر وسائل الإعلام نجاحاً في العصر الحديث، أوضح أسلوبه بإيجاز بقوله أن الكذبة التي جرى الاخبار عنها مرة واحدة تظل كذبة، لكن الكذبة التي جرى الإخبار عنها ألف مرة تصبح حقيقة. في كتاب كفاحي، كتب هتلر أن أكثر التقنيات الدعائية عبقريةً لن تحقق أي نجاح ما لم يوضع مبدأ أساسي واحد في الاعتبار باستمرار – يجب أن يقتصر على بضع نقاط ويكررها مراراً وتكراراً. هل يمكن لأي بائع أخبار مزيفة متجول في الوقت الحاضر تحسين ذلك؟

المثال الثامن: كانت آلة الدعاية السوفييتية بقيادة جوزيف ستالين منسجمة على حد سواء مع الحقيقة، وهي فعالة للغاية، لدرجة أنها تمكنت من إخفاء الفظائع الوحشية في المنزل أثناء عرض رؤية خيالية في الخارج. يشكو الأوكرانيون اليوم من أن بوتين قد خدع بنجاح الكثير من وسائل الإعلام الغربية حول تصرفات روسيا في شبه جزيرة القرم ودونباس. ومع ذلك، في فن الخداع، بالكاد يمكنه حمل شمعة لستالين. في أوائل الثلاثينيات، كان الصحفيون والمفكرون الغربيون اليساريون يشيدون بالاتحاد السوفييتي كمجتمع مثالي في وقت كان فيه الأوكرانيون والمواطنون السوفييت الآخرون يموتون بملايينهم من المجاعة التي دبرها ستالين. في حين أنه في عصر الفيس بوك وتويتر Facebook و Twitter، يصعب أحياناً تحديد أي نسخة من الأحداث يمكن تصديقها، وعلى الأقل لم يعد من الممكن للنظام أن يقتل الملايين دون أن يعرف العالم بذلك.

المثال التاسع: تعتمد الشركات التجارية أيضاً على القصص الخيالية والأخبار المزيفة. و غالباً ما تنطوي العلامة التجارية على إعادة سرد القصة الخيالية نفسها مراراً وتكراراً، حتى يقتنع الناس أنها الحقيقة. ما هي الصور التي تتبادر إلى الذهن عندما تفكر في كوكاكولا؟ هل تفكر في الشباب الأصحاء الذين يمارسون الرياضة ويستمتعون معا؟ أم هل تعتقد أن مرضى السكري الذين يعانون من زيادة الوزن يرقدون على سرير في المستشفى؟ إن شرب الكثير من كوكاكولا لن يجعلك شاباً، ولن يجعلك بصحة جيدة، ولن يجعلك رياضياً – بل يزيد من فرص اصابتك بالسمنة والسكري. ومع ذلك، فقد استثمرت شركة كوكا كولا مليارات

الدولارات، على مدى عقود من الزمن، من أجل ربط نفسها بالشباب والصحة والرياضة – ويؤمن بلايين البشر بلا وعي بهذا الارتباط. والواقع أن الحقيقة لم تكن على رأس جدول أعمال الإنسان العاقل. يفترض الكثير من الناس أنه إذا كان دين أو إيديولوجية معينة تسيء تمثيل الحقيقة، فإن أتباعها ملزمون باكتشافها عاجلاً أم آجلاً، لأنهم لن يكونوا قادرين على التنافس مع منافسين أكثر وضوحاً.

المثال العاشر: في عام ١٩٠٥ ادعى وسيط روحاني من شرق أفريقيا يدعى كنجيكتل نجوالي Kinjikitile Ngwale أن روح الثعبان هونجو Hongo تتملكه. كان للنبي الجديد رسالة ثورية لشعب المستعمرة الألمانية في شرق أفريقيا: توحدوا و اطردوا الألمان. و لجعل الرسالة أكثر جاذبية، قدم نجوالي لأتباعه دواءً سحرياً يُزعم أنه يحوّل الرصاص الألماني إلى ماء (ماجي باللغة السواحيلية). هكذا بدأ تمرد ماجي ماجي. و فشل، لأنه لم تتحول الرصاصات الألمانية إلى ماء في ساحة المعركة. وبدلاً من ذلك، مزقت بلا رحمة جثث المتمردين المسلحين. من ناحية أخرى، لا يمكنك تنظيم جماهير من الناس بشكل فعال دون الاعتماد على بعض الأساطير. إذا التزمت بالواقع المحض، فسوف يتبعك القليل من الناس. و في الواقع، للقصص الكاذبة ميزة جوهرية تتفوق بها على الحقيقة عندما يتعلق الأمر بتوحيد الناس. إذا كنت تريد قياس ولاء جماعة، فإن مطالبتهم بالتصديق بغير المعقول هو اختبار أفضل بكثير من أن تطلب منهم تصديق الحقيقة. إذا قال أحد كبار القادة: الشمس تشرق من الشرق وتغرب من الغرب، فلا حاجة إلى الولاء للرئيس لكي يُصفَّق له. ولكن إذا قال الرئيس الشمس تشرق من الغرب وتغرب من الشرق، فإن الموالين الحقيقيين هم فقط الذين يصفقون بأيديهم. وبالمثل، إذا كان كل جيرانك يؤمنون بنفس الحكاية المبالغ فيها، فيمكنك الاعتماد عليهم للوقوف معاً في أوقات الأزمات. و إذا كانوا على استعداد لتصديق الحقائق المعتمدة فقط، فما الذي يثبت ذلك لهم؟[٧].

تاريخ ظهور المصطلح:

بعد نقاش ودراسات وبحث طويل اختارت معاجم أوكسفورد مصطلح ما بعد الحقيقة Post–Truth بصفته كلمة العام ٢٠١٦ المميَّزة.

يعرَّف ما بعد الحقيقة على نحو و صفي على أنه يشير إلى الظروف التي تجعل الحقائق الموضوعية أقل تأثيراً في تشكيل الرأي العام من إغراءات العاطفة والاعتقاد الشخصي[٨]. ظهر مفهوم ما بعد الحقيقة إلى الوجود منذ عقد مضى، لكن معاجم أوكسفورد رأت أن تثيره على نحو متكرر في تلك السنة في سياق الاستفتاء الشعبي حول الخروج من الاتحاد الأوروبي الذي جرى في المملكة المتحدة والانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة الأميركية. وقد أصبح المصطلح مرتبط باسم خاص في عبارة "سياسة ما بعد الحقيقة" .

تمثل كلمة ما بعد الحقيقة المركبة توسعاً في معنى البادئة (ما بعد) – والتي أصبحت بارزة بشكل متزايد في السنوات الأخيرة. وبدلاً من مجرد الإشارة إلى الزمن بعد موقف أو حدث محدد – كما في زمن ما بعد الحرب أو ما بعد المباراة – فإن البادئة في ما بعد الحقيقة لها معنى أشبه بالانتماء إلى زمن أصبح فيه المفهوم المحدد للحقيقة غير مهم أو غير ذي صلة. يبدو أن هذا الفارق الدقيق نشأ في منتصف القرن العشرين، في تشكيلات مثل ما بعد القومية (١٩٤٥) وما بعد العنصرية (١٩٧١).

أول شخص استخدم مصطلح "ما بعد الحقيقة" في سياقه المعاصر كان الكاتب المسرحي الأمريكي الصربي ستيف تيشيش. في مقالته عام ١٩٩٢ "حكومة الأكاذيب"، انتقد تيش الجمهور الأمريكي لقبوله بأكاذيب إدارة بوش (الأب) وقرَّر عن وعي العيش في عالم ما بعد الحقيقة، أي في عالم لم تعد فيه الحقيقة مهمة أو ذات صلة[٩].

وظهر المصطلح مرة أخرى في عام ٢٠٠٤، في عنوان كتاب رالف كيز "عصر ما بعد الحقيقة".[١٠] وفي عام ٢٠١٦ فقط، وعلى خلفية الانتخابات الرئاسية للولايات المتحدة واستفتاء المملكة المتحدة حول الانسحاب من الاتحاد الأوروبي، أصبح المصطلح الجديد والغامض سائداً، وارتفع استخدامه في السياق السياسي آلاف النقاط من النسبة المئوية. ولهذا السبب، اختارته قواميس أكسفورد أنه "كلمة العام" في عام ٢٠١٦، من بين كلمات أخرى منافسة مثل كلمة اليمين البديل Alt–Right، وخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي Brexiteer.[١١] وعرفته بأنه "مصطلح يتعلق أو يشير إلى ظروف تكون فيها الحقائق الموضوعية أقل تأثيراً في تشكيل الرأي العام من اغراءات العاطفة والمعتقد الشخصي[١٢].

ربما جرى الإعلان عن كلمة "ما بعد الحقيقة" لعام ٢٠١٦ بواسطة قاموس أوكسفورد الإنجليزي، لكن المفهوم كان حاضراً دائماً معنا في كل من السياسة والعلوم – وبطرق أعمق بكثير مما يدركه أولئك الذين ينتقدون وجوده. الذاكرة الطويلة ليست مطلوبة لرؤية جذورها في السياسة. لنتذكر نقود ٢٠٠٤ "المجتمع القائم على الواقع" بصفتها اعتراض ساخر لنهج جورج دبليو بوش في السياسة الخارجية، خاصة بعد بدء حرب العراق.

يبدو أن عبارة "ما بعد الحقيقة"، بوصفها عبارة شاملة، تستحوذ على العصر؛ بسبب التعتيم على الحقائق، والتخلي عن معايير الإثبات في التفكير، والكذب الصريح الذي ميز "تصويت خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في عام ٢٠١٦، والانتخابات الرئاسية الأمريكية، فقد شعر الكثيرون بالذعر، إذا كان بإمكان دونالد ترامب أن يدعي – بدون أدلة – أنه إذا خسر الانتخابات فسيكون ذلك بسبب تزويرها ضده، فهل الحقائق والحقيقة مهمة بعد الآن؟[١٣]

البعد الفلسفي لما بعد الحقيقة

هناك سؤالان رئيسيان فيما يخص الفلسفة: ما الظاهرة التي يشير إليها مفهوم "ما بعد الحقيقة"؟ وبغض النظر عما إذا كانت جديدة أم لا، لماذا برزت أو اكتسبت أهمية خاصة في الوقت الحاضر؟

تشارك الفلسفة بشكل رئيس في دراسة المفاهيم بهدف توضيح مقاصدها وفهمها. في الحالة الراهنة، قد يساعدنا تحليل مفهوم "ما بعد الحقيقة" على فهم ظاهرة ما بعد الحقيقة التي يشير إليها المصطلح. لذلك، ستحاول المراجعة الفلسفية المعروضة أدناه بشكل أساسي تقديم إجابة على السؤال الأول – ما هي الظاهرة التي تسمى "ما بعد الحقيقة"؟ و نظراً لوجود العديد من الأسباب المتعلقة بالتخصصات المتنوعة – بما في ذلك التكنولوجيا والاتصالات والعلوم السياسية وعلم الاجتماع وعلم النفس وصنع القرار – لماذا ظهرت هذه الظاهرة في الوقت الراهن، وبالتالي يمكن للفلسفة بشكل عام أن تساهم فقط في مناقشة السؤال الثاني حول أصول الظاهرة وأسباب ظهورها الراهن.

الفلاسفة والباحثون في ظاهرة ما بعد الحقيقة

يقتبس الكثير من الناس من جورج أورويل، الذي قال بالفعل خلال النصف الأول من القرن العشرين، إن السياسيين على امتداد الطيف السياسي كله يكذبون ويجعلون أكاذيبهم تبدو صحيحة: جرى تصميم اللغة السياسية – وهذا يصدق، بتفاوت، على جميع الأحزاب السياسية، من المحافظين إلى الأناركيين – لجعل الأكاذيب سليمة وصادقة وجريمة القتل مقبولة، وإعطاء مظهر صلب للرياح النقية[١٤].

أكدت الفيلسوفة حنّا أرندت في مقالها في عام ١٩٦٧ بعنوان "الحقيقة والسياسة" أن الصدق والنزاهة لم يجرِ عدّهما من فضائل السياسي على الاطلاق، وتعَدُّ الأكاذيب، على الدوام، أدوات ضرورية ومبررة لدى السياسيين ورجال الدولة. ولذلك يجري، في عالم اليوم، مواجهة الحقيقة الواقعية التي تتعارض مع مصالح مجموعة سياسية معينة بعنف أكبر من أي وقت مضى. وبحسب أرندت، فإن الخصم الأكبر للحقيقة الواقعية هو الرأي وليس الكذب، لاسيما في ضوء الميل الحالي للخلط بين الحقيقة والرأي. عندما يريد الكاذب عمداً وبشكل صريح إخفاء كذبه، يقول أن الكذب هو مجرد رأيه، ومثل أي شخص في بلد ديمقراطي ليبرالي، يتمتع بحرية التعبير والحق في التعبير عن رأيه. وأضافت أرندت أنه على الرغم من واقع أن حقيقتنا الواقعية لا تكون أبداً خالية تماماً من التفسير أو المنظور الشخصي، فإن هذا الموقف لا يمكن أن يكون بمثابة حجة ضد وجود الواقع والحقائق، ولا يمكن أن يسوّغ طمس الخطوط الفاصلة بين الحقيقة والرأي. إن نتيجة هذه الضبابية هي جمهور مشوش لا يمكنه التفريق بين الحقيقة والاختلاق والرأي. وقالت أرندت، إن هذا

الارتباك يمكّنه الإعلام. ومع ذلك، في حين كانت الأكاذيب في الماضي موجهة عادةً ضد الأفراد، وبشكل رئيسي ضد الأعداء، إلا أن الأكاذيب اليوم يتم توجيهها محلياً بشكل أساسي عبر وسائل الإعلام لخداع الجميع. ونتيجة لذلك، ينظر الجمهور أحياناً إلى الرواة المحليين للحقيقة الواقعية على أنهم أكثر خطورة وعدائية من الأعداء الأجانب[١٥].

بما أن حنّا أرندت كتبت هذه التصريحات قبل أكثر من خمسين عاماً، فقد نتمكن من نستنتج من ذلك من أن مصطلح "ما بعد الحقيقة" لا يشير إلى ظاهرة جديدة ظهرت فقط في السنوات الأخيرة. من ناحية أخرى، يمكن للمرء أن يجادل، كما فعل الصحفي البريطاني ماثيو دانكونا، بأن حنّا أرندت وجورج أورويل كانا بارزين من بين أولئك الذين حددوا بالفعل في منتصف القرن العشرين نذر ظاهرة "ما بعد الحقيقة" واستخدموها لتوقع ما يجري اليوم بكامل قوته[١٦].

ما هي ظاهرة ما بعد الحقيقة وما هو الجديد فيها؟ إنَّ نظرة على ردود الباحثين من مختلف المجالات مفيدة للغاية، قال البروفيسور يوفال نوح هراري إن النقطة الأولى التي نحتاج إلى معرفتها عن الأخبار المزيَّفة هي أنها أخبار قديمة، وأنه في بداية القرن الحادي والعشرين، لم تكن الحقيقة في حالة أسوأ مما كانت عليه في الأزمنة السابقة. ومن حيث الجوهر، فإن ظاهرة ما بعد الحقيقة تجسّد الإنسان العاقل، وإنَّ قوتنا متجذرة في قدرتنا على إنشاء القصص والتلفيق ومن ثم تصديقها – مثل الأساطير والأديان، والأيديولوجيات، التي تمكِّن من إقامة التعاون والروابط بين الغرباء بشكل كامل. وبحسب هراري، المؤرخ، فإن الإنسان العاقل كان دائماً يفضّل السلطة على الحقيقة واستثمر وقتاً وجهداً في حكم العالم أكثر من محاولة فهمه. قال هراري إنَّ الذي لا يزال يجعل الاتجاه الحالي للأخبار المزيفة مختلفاً هو التكنولوجيا، التي تمكننا من تصميم الدعاية على أساس فردي، ومطابقة الأكاذيب مع التحيزات الفردية. يستخدم المتصيدون والمتسللون خوارزميات البيانات الكبيرة لتحديد هوية كل فرد ونقاط الضعف والميول ثم تلفيق القصص بما يتفق معها. و يستخدمون هذه القصص لتعزيز الأحكام المسبقة لأولئك الذين يؤمنون بها، من أجل مفاقمة الانقسامات في المجتمع، وخرق النظام الديمقراطي من الداخل[١٧]. و مثل يوفال نوح هراري، يجادل الفيلسوف لي ماكنتاير بأن الابتكار في ظاهرة ما بعد الحقيقة هو ليس إنكاراً لوجود الحقيقة والحقائق، بل هو إخضاع الحقائق للتصورات المسبقة الشخصية والمنظور الذاتي. وعلى وفق ماكنتاير، في زمن ما بعد الحقيقة، تكون بعض الحقائق أكثر أهمية من غيرها، والمعيار الذي يستخدمه الشخص لتفضيل حقيقة واحدة على أخرى هو مدى توافق الحقيقة مع رأيه ومنظوره الشخصي[١٨].

قال الفيلسوف الأمريكي دانييل دينيت خلال مقابلة مع الصحافية البريطانية كارول كادوالادر أن البشرية تدخل فترة من الغموض و اللا يقين المعرفي، لم نشهده منذ العصور الوسطى. وعلى وفق ما ذكره دينيت، فإن الخطر الحقيقي أمامنا هو أننا فقدنا احترام الحقيقة والوقائع وفقدنا الرغبة في فهم العالم على أساس الحقائق[١٩].

يقول مايكل مارموت(Michael Marmot) أستاذ الصحة العامة البريطاني، إن الأكاذيب كانت جزءاً من السياسة دائماً، على الرغم من أن هذا لا يخفف من صدمة أولئك الذين يواجهون أكاذيب مؤيدي خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي والرئيس الأمريكي ترامب وإدارته. وعلى وفق مارموت، النقاش هو في صميم العلم، ولكن بعد أن أظهر أحد المناقشين الأدلة الواقعية التي تدعم حججه، يجب على المناقض المعارض أن يعترف بخطئه. ومع ذلك، ففي حين أن الحقائق هي أساس الواقع، فقدت الأدلة الواقعية صلاحيتها اليوم: يمكن أن يدَّعي دونالد ترامب أن معدَّل القتل يرتفع بسبب المهاجرين، وحتى بعد تقديم الأدلة التي تدحض ذلك أمامه، فإنه لا يتراجع عن زعمه[٢٠].

في كتابه حول "الهراء" Bullshit يميِّز الفيلسوف الأمريكي هاري فرانكفورت بين الكذّاب و الـ"هرّاء". يريد كل من الكذّاب والهرّاء إقناع جماهيرهما بأنهما يقولان الحقيقة، وكلاهما يحاولان إخفاء شيء ما عن جماهيرهما. والفرق بينهما هو أن الكذّاب يقبل التفريق بين الحقيقة والباطل ويكذب عمداً لإخفاء الحقيقة عن جمهوره. من جهة أخرى، لا يعترف الهرّاء بأي تمييز بين الحقيقة والباطل بل يرفضه، ولا يبالي بشكل أساسي بما إذا كانت تصريحاته ذات قيمة للحقيقة ويحاول إخفاء عدم مبالاته بالحقيقة عن جمهوره. باستخدام تمييز فرانكفورت، يقول مايكل مارموت بأن ترامب هرّاء – لم يكن يهمه ما يقوله حقاً كان أم باطلاً، وبالتالي، فإنه لا يزال ثابتاً في موقفه حتى في مواجهة الحقائق التي تدحض تصريحاته[٢١].

جادل ماثيو دي أنكونا أنه على الرغم من أن الكذب كان جزءاً لا يتجزأ من السياسة منذ بداية التاريخ البشري، إلا أنه سيتم تذكر عام ٢٠١٦ باعتباره العام الذي أطلق حقبة ما بعد الحقيقة. وفي رأيه أنَّ ما هو جديد في هذه الحقبة ليس خيانة الأمانة المألوفة، بل رد فعل الجمهور حيالها – إذْ يُعَدُّ الكذب هو القاعدة. وبحسب أنكونا، ففي هذه الحقبة، تهدد العواطف التفكير العقلاني، والتشكك والازدراء يهددان العلم، وتنخفض قيمة الحقيقة. يُنظر إلى الخبراء على أنهم كارتل من الأشرار وليس كمصادر للمعلومات والمعارف الموثوقة، في حين تحل التفسيرات الذاتية والروايات العاطفية محل الحقائق الموضوعية[٢٢].

تعكس مجموعة متنوعة من التفسيرات لظاهرة ما بعد الحقيقة واحدة من أبرز خصائصها وهي الارتباك المحيط بها وصعوبة فهمها. لكن أحد القواسم المشتركة في هذا

التنوُّع هو الشعور بأن شيئاً ما يحدث: سواء كانت ظاهرة قديمة، أو ظاهرة جديدة، أو تجديد وتكثيف لظاهرة قديمة، فإن الناس يتجمعون حول المفهوم الجديد ويسمونه ظاهرة (ما بعد الحقيقة). يرى الجميع أن ظاهرة ما بعد الحقيقة ضارة، ويحاولون فهمها من أجل التأقلم معها. في مقالها بعنوان "الفهم والسياسة"، تؤكد أرندت أن الاعتراف بظاهرة جديدة يتلقى التعبير عنه باللغة عن طريق اعتماد مصطلح جديد، والذي يمثل بداية عملية فهمها. وينطوي المعنى على شيء من القديم والمألوف، من أجل أن تكون قادراً على فهم مصطلح جديد. في الحالة المعروضة علينا، يحتوي مصطلح "ما بعد الحقيقة" على مفهوم "الحقيقة"، الذي هو ظاهر مألوف ومفهوم. في هذه المرحلة من عملية الفهم، تقول أرندت، يتشكل نوع من الفهم الأولي للظاهرة الجديدة، مدعوماً بفهمنا لما سبق الظاهرة الجديدة. بعبارة أخرى، يعتمد الفهم الأولي لظاهرة ما بعد الحقيقة على فهمنا للعصر الذي كان يُنظر فيه إلى الحقيقة على أنها مهمة وذات صلة، وفي هذه المدة الزمنية – إذا قمنا بتعديل التعريف في قاموس أكسفورد – كان تأثُّر الرأي العام بالحقائق الموضوعية أكثر من مناشدات المشاعر والمعتقدات الشخصية. وعلى وفق حنا أرندت، أن من دون فهم أولي لمفهوم "ما بعد الحقيقة"، والذي يدعمه فهمنا لمفهوم "الحقيقة" والمفاهيم ذات الصلة، مثل "الوقائع" و "الحقيقة"، لن نتمكن من اكتساب المعرفة اللازمة للوصول إلى فهم أفضل لما بعد الحقيقة. لذلك، من أجل الوصول إلى فهم أولي لمفهوم "ما بعد الحقيقة"، من المهم دراسة النظريات الرئيسية المتعلقة بمفهوم "الحقيقة"[٢٣].

نظريات "الحقيقة"

جرى مراجعة أربع نظريات أدناه حول مفهوم "الحقيقة" – ثلاث نظريات كلاسيكية جديدة ظهرت في الغرب في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، والنظرية التعددية التي ظهرت في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين. تشترك جميع النظريات الأربع في افتراض وجود الحقيقة، ولكنها منقسمة في إجاباتها على سؤال ما هي معايير الحقيقة، أو بعبارة أخرى، ما هي المعايير التي تحدد قيمة الحقيقة في قضية.

نظرية التطابق

تؤكد نظرية تطابق الحقيقة، التي من مؤيديها البارزين برتراند راسل ولودفيج فيتجنشتاين، على أن مفتاح الحقيقة هو العلاقة بين القضية والعالم – فالقضية صادقة إذا وفقط إذا كانت تتوافق مع حقيقة في العالم (لأغراض المناقشة في هذه المقالة، "الحقيقة" هي حالة موجودة في العالم). ويمكن للمرء أن يرى علاقة وثيقة بين نظرية التطابق والواقعية الميتافيزيقية، التي تؤكد أن الواقع والحقائق أشياء موضوعية، أي أنها موجودة بشكل مستقل

عن الوعي البشري، أو عن أفكارنا حول هذا الواقع وهذه التصورات، مثلما هو الحال عند أرسطو فالوجود لديه موجود لأنه متحقق في الواقع، واللاوجود غير موجود لأنه لا يتطابق أو غير متحقق في الواقع الخارجي[٢٤]. وكما هو ماثل في قول ابن سينا: أما الحق فيفهم منه الوجود في العيان مطلقًا؛ ويفهم منه الوجود الدائم؛ ويفهم منه حال القول أو العقد الذي يدل على حال الشيء في الخارج إذا كان مطابقًا له. فنقول (هذا قول حق) و (هذا اعتقاد حق"[٢٥]، ويقول ابن سينا في منطق المشرقيين إن القضايا أو الأقوال الجازمة هي ما تفيد الصدق والكذب. وفحوى القول "لا تجده إلا والأمر مطابق للمتصور منه معناه في النفس فتجد هناك تصورًا مطابقا له الوجود في نفسه "..."وإنما يصير مبدأ للتصديق في أمثال هذه المركبات (= يقصد القضايا الخبرية) إذا كان اعتقد مع التصور هذه المطابقةَ"[٢٦]

وبالتالي فإن نظرية التطابق ترسّخ الحقيقة في الواقع؛ وهذا هو مصدر قوتها، ولكن ضعفها أيضاً. من أجل تحديد قيمة الحقيقة في قضية على وفق نظرية التطابق، يجب استيفاء معيارين على الأقل: يجب أن يكون من الممكن من حيث المبدأ العثور على الحقيقة ذات الصلة بالعالم التي تدعم القضية؛ ويجب أن تكون القضية، أو الشخص الذي يثبتها، على علاقة مباشرة بهذه الحقيقة في العالم.

نظرية التماسك المنطقي

تؤكد نظرية التماسك المنطقي للحقيقة، التي تضم مؤيديها البارزين (براند بلانشارد) و (هارولد جوشيم)، أن مفتاح الحقيقة هو العلاقة بين القضايا – فالقضية تكون صادقة إذا وفقط إذا كانت جزءاً من نظام من القضايا متماسك منطقياً. لا تقوم نظرية التماسك المنطقي على إثبات الحقيقة في الواقع، وبالتالي فهي لا تقتصر على المعايير المشار إليها أعلاه فيما يتعلق بنظرية التطابق. وحتى عندما تكون قيمة الصدق في قضية من الصعب أن تثبت في الواقع – سواء لأنه من الصعب العثور على الحقيقة التي تتوافق مع التأكيد أو لأن التأكيد لا يرتبط مباشرة بهذه الحقيقة – فإن القضية تعد صادقة، لأنها متسقة منطقياً مع مجموعة معتقداتنا. ويمكن العودة بهذه النظرية إلى ديكارت حيث أن الذات العاقلة أصبحت هي المصدر الوحيد والموثوق به لبناء الحقائق، حقيقة الذات العاقلة المفكرة وهي تتمثل موضعها وعالمها بشكل شفاف ويقيني، معه تصبح المعرفة تمثلاً صرفاً للواقع وحضورا له كنظام منسجم أمام فكر الإنسان / الحقيقة كنوع من البروسيا، حيث الذات العارفة تصدر أحكامها على الواقع كموضوع[٢٧].

بالطبع، نظرية التماسك المنطقي لها مشاكلها الخاصة: إذا كانت الحقيقة ليس لها أساس وجودي في الواقع، بل بالأحرى لها فقط أساس أبستمولوجي في بعض أنظمة المعرفة فما الذي يمنع الشخص الذي يعاني من الهلوسة، على سبيل المثال، من التأكيد على أن

هلوسته صادقة؟ فرغم كل شيء، فإن لهلوسته نظام متماسك على نحو رائع. وبالمثل، ما الذي يمنع ضابط المخابرات من الاستمرار في التمسك بتصوره للعدو لمجرد أنه متماسك داخل نفسه؟ كان هذا أيضاً انتقاد برتراند راسل لنظرية التماسك المنطقي: التي يمكن، على وفقها، أن تكون هناك قضيتان متناقضتان صادقتان في وقت واحد، لأن كلاً منهما جزء من نظام متماسك آخر تكون فيه القضية بديهية.

معظم المدافعين عن نظرية التماسك المنطقي هم من أنصار المثالية الميتافيزيقية، حيث تكون الحقائق والواقع، أولاً وقبل كل شيء، أفكاراً مجردة موجودة في الوعي البشري، ومن خلالها فقط، يمكن، على الإطلاق، الحديث عن الأشياء المادية الموجودة في الواقع خارج الوعي البشري. لا تنكر المثالية بالضرورة وجود الواقع والوقائع، بل ترفض فكرة أنها مستقلة عن الإدراك البشري.

النظرية البراغماتية للحقيقة

تؤكد النظرية العملية للحقيقة، التي تضم مؤيديها البارزين تشارلز بيرس ووليام جيمس وريتشارد رورتي، على أن مفتاح الحقيقة هو المنفعة – يجري تحديد قيمة الحقيقة في قضية على وفق نتائجها العملية والمنفعة التي تحققها. عادة ما يكون البراغماتيون مؤيدين للواقعية الميتافيزيقية، وعلى غرار نظرية التطابق، لا ينكرون الحقيقة الواقعية، بل هم أكثر تجريبية من أنصار نظرية التطابق فيما يتعلق بالقدرة على معرفة حقيقة الواقع، بسبب كل من الصعوبة المذكورة أعلاه في توضيح الواقع وبسبب الميل البشري لارتكاب الأخطاء على حد سواء. وعلى وفق البراغماتيين، لا نعرف أبداً على وجه اليقين ما إذا كانت النظرية العلمية صحيحة أم لا. كل ما يمكننا معرفته هو أنها تفي بالمعايير المقبولة للمجتمع العلمي وأنها تساعد على تفسير الواقع والتنبؤ به. وبالمثل، سيجري التقييم الاستخباراتي على نحو صحيح إذا استوفى المعايير والمقاييس المقبولة لدى مجتمع الاستخبارات، وخاصة إذا كان يساعد صنّاع القرار على تحقيق أهدافهم. أحد الانتقادات الرئيسية التي أثيرت ضد النظرية البراجماتية للحقيقة هي أنها تولِّد نهجاً نسبياً للحقيقة – فما هو نفعي لشخص ما ليس بالضرورة نفعياً لشخص آخر، وبالتالي فالشيء الذي يعدُّ حقيقياً بسبب فائدته لأحدهم، ليس حقيقياً من منظور الآخر.

النهج التعددي للحقيقة

يشدِّد النهج التعددي للحقيقة، الذي ظهر في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، والذي يضم من بين مؤيديه البارزين كريسبين رايت ومايكل لينش، على أنه لا يوجد أساس واحد للحقيقة – فالحقيقة هي وظيفة قد تتجلى في عدة طرق[٢٨]. لكل تجلي لحقيقة يوجد تعريف مغاير لمعايير الحقيقة، ويمكن اعتماد معايير مختلفة للحقيقة

لموضوعات مختلفة من الخطاب. وعلى وفق هذا النهج، "الحقيقة" هي مفهوم غامض، أو بعبارة أخرى، هناك تصورات عدَّة لـ "الحقيقة". يمكن تقسيم التنوع المفاهيمي "للحقيقة" استناداً إلى تنوّع موضوعات الخطاب، مثل الحقيقة العلمية، وحقيقة الأمن القومي، والحقيقة الأخلاقية، والحقيقة القضائية، والحقيقة الفنية، والحقيقة السياسية، أو استناداً إلى مجموعة متنوعة من الطرق المستخدمة لتحديد قيمة الحقيقة، مثل الحقيقة الواقعية، والحقيقة المنطقية، والحقيقة البراغماتية. على الرغم من أن القسم الثاني يبدو ثنائي التقسيم، إلا أن الحقائق المختلفة داخل هذا القسم متقاربة وتكمل بعضها البعض في مختلف موضوعات الخطاب. من الواضح أن الحقيقة العلمية وحقيقة الأمن القومي ستعتمد إلى حد كبير على الحقيقة الواقعية، وهذه هي الطريقة التي ينبغي أن تكون، ولكن ليس على الإطلاق. يعتمد هذان المجالان كلاهما، بالإضافة إلى الحقائق، على المعرفة التنظيمية المتراكمة أيضاً، والخبرة المهنية، والسياسات والأجندات، والآراء، والمعتقدات الشخصية. وبعبارة أخرى، في كل من العلم والأمن القومي، يمكن للمرء أن يجد أيضاً الحقيقة المنطقية والحقيقة الواقعية بالإضافة إلى الحقيقة الموضوعية والواقعية. تسد هذه الحقائق الفجوات في الحقيقة الواقعية، وتخدم الأهداف التي يريد صنّاع القرار تحقيقها، وتؤثِّر على الطريقة التي ينقلون بها الحقائق الواقعية.

انفجار المعلومات والتكنولوجيا التخريبية وتضاؤل الإيمان بالمؤسسات: نظرية التطابق في عصر ما بعد الحقيقة

وجدت مراجعة النظريات الرئيسية حول "الحقيقة" أن تعريف قاموس أكسفورد لمصطلح "ما بعد الحقيقة" والتفسيرات المختلفة للظاهرة تدل على تصوّر مفهوم "الحقيقة" كما حددته نظرية التطابق – التطابق بين القضية والحقيقة في العالم. هذه هي نقطة البداية لفهم ظاهرة ما بعد الحقيقة. لذلك، يؤكد التعريف المعجمي والتفسيرات المختلفة – كل بطريقته الخاصة – على أن السمة الأبرز للظاهرة هي فقدان الحقيقة الموضوعية القائمة على الوقائع، أو على الأقل انخفاض قيمتها: تشير أرندت إلى عدم وضوح التمييز بين الحقيقة القائمة والرأي؛ و يشير هراري وماكينتاير إلى تفضيل الحقائق التي تثبت الأحكام المسبقة على الحقائق التي تدحضها؛ و يرى دينيت أن احترام الحقيقة والوقائع قد فُقِد. و يؤكد دي أنكونا d'Ancona على تفضيل التفسيرات والروايات الذاتية على الحقائق الموضوعية؛ ويتحدث مارموت عن اللامبالاة بالحقيقة والأدلة الواقعية.

هذا الفهم الأولي، الذي يعتمد على نظرية التطابق في الحقيقة، ليس مفاجئاً. فبالإضافة إلى الفلاسفة الذين يبحثون في مفهوم "الحقيقة" ويناقشون الطرق المختلفة لتعريفها، يفترض أن معظم الناس سيربطون بشكل حدسي بين قيمة الحقيقة في قضية

والظروف القائمة في العالم الخارجي ويقولون أن القضية القائلة: "السماء تمطر"، على سبيل المثال، صادقة، إذا كانت تمطر بالفعل؛ بهذه البساطة. لكن المشكلة هي أنها ليست بسيطة على الإطلاق.

عندما قدمنا نظرية التطابق في الحقيقة، قلنا أنها تثبت الحقيقة في الواقع وهذه هي قوتها وضعفها. كان ضعفها محيِّراً عندما قدمنا المعيارين الأساسيين اللذين يجب الوفاء بهما: يجب أن يكون من الممكن من حيث المبدأ العثور على الحقيقة في العالم الخارجي التي تتطابق مع القضية وتحدد قيمتها الحقيقية؛ ويجب أن تكون القضية، أو الشخص الذي يؤكدها، على علاقة مباشرة بهذه الحقيقة في العالم الخارجي. لم يكن الوفاء بالمعيارين تافهاً، ولكنه إشكالي على نحو متزايد في العصر الراهن.

يتم إنجاز المعيار الأول عندما تكون القضايا المطروحة أمامنا قضايا بسيطة من السهل نسبياً توضيح ما إذا كانت الحقيقة في الواقع تتطابق معها، مثل: "في الساعة ٠٨:٠٠ من صباح اليوم، لوحظ ثلاثة أشخاص يحاولون اختراق السياج من غزة إلى إسرائيل". ومع ذلك، من الصعب إنجاز هذا المعيار عندما تكون القضية المطروحة أمامنا من الصعب أو من المستحيل العثور على الحقيقة المطابقة لها، مثل: "السادات لا يريد شن حرب ضد إسرائيل بدون السوريين". في مثال مثل هذه القضايا، وهو أمر شائع جداً في الغرف التي تتم فيها مناقشة مسائل الأمن القومي، فإن تقييم الاستخبارات، وفي التحليل النهائي أيضاً القرار الذي توصل إليه صانع القرار، لا يعتمد فقط على الحقائق المحض المعروفة لدى مجتمع المخابرات، ولكن يعتمد أيضاً على توافق الاقتراح مع جميع المعرفة التي تمتلكها المخابرات عن السادات الشخص وعن مصر قبل حرب اكتوبر؛ ومع الأهداف التي يريد صنّاع القرار تحقيقها؛ ومع آراء ومعتقدات الأشخاص الجالسين حول طاولة اتخاذ القرار؛ وأيضاً مع الاعتبارات السياسية وجداول الأعمال الشخصية. كان هذا كله هو الواقع دائماً وليس جديداً على ظاهرة ما بعد الحقيقة.

المعيار الثاني هو المعيار الذي أصبح تحقيقه في الوقت الراهن أكثر إشكالية من أي وقت مضى، بسبب عاملين رئيسيين: التكنولوجيا في عصر المعلومات وأزمة الإيمان بـ "الحقيقة". حتى عندما يتم استيفاء المعيار الأول وقد تكون القيمة الحقيقية للقضية ثابتة من حيث المبدأ في الواقع، فإن هذه الإمكانية ليست متاحة دائماً للجميع، وفي العصر الراهن، لا يمكن لمعظمنا الوصول إليها تقريباً. وبصرف النظر عن عالمنا الخاص، فإن التكنولوجيا هي ما يساهم به الواقع بالنسبة لنا اليوم. ليس لدى مستهلكي المعلومات طريقة لإثبات القيمة الحقيقية لمعظم المعلومات التي يتم نشرها من خلال التكنولوجيا – عبر وسائل

الإعلام والإنترنت والشبكات الاجتماعية – لأنه في معظم الحالات، لم يكن مستهلكو المعلومات في علاقة مباشرة بالحقائق ذات الصلة.

في مثل هذه الحالات، التي هي شائعة في عصر انفجار المعلومات، فإن نظرية التطابق في تقييم الحقيقة ليست مفيدة، ومستهلكو المعلومات الذين تعدُّ الحقيقة ذات أهمية لهم بحاجة إلى إيجاد طرق أخرى لتوضيح ما هو صحيح وما هو ليس كذلك. واحدة من أكثر الطرق فعالية للقيام بذلك هي من طريق توضيح مصدر المعلومات وما إذا كان المصدر موثوقاً؛ وبعبارة أخرى، هل يثقون في أن المصدر كان على اتصال مناسب بالحقائق ذات الصلة قبل أن ينشر المعلومات. في العديد من الحالات، لم يكن لمصدر المعلومات هذا أي اتصال مباشر بالحقائق، إذْ تفصل أحياناً سلسلة طويلة من مصادر المعلومات بين المعلومات المنشورة والحقيقة ذات الصلة بالواقع. الإيمان بالمؤسسات "الموصلة للحقيقة" – مثل الصحف، والنظام القضائي، والأوساط الأكاديمية، ووكالات الاستخبارات، والخبراء في مختلف مجالات المعرفة – مهم جداً لأي شخص يريد أن يبني الحقيقة على الوقائع على وفق نظرية التطابق في تقييم الحقيقة.

من أجل أن نعتقد بأن المعلومات المنشورة صحيحة، يجب على مستهلكي المعلومات أن يكونوا على ثقة بأن مصدر المعلومات على الأقل الذي في صدارة سلسلة مصادر المعلومات (إن لم يكن مصدر المعلومات أقرب لهم) كان في اتصال مباشر بالحقائق ذات الصلة، وأن المعلومات لم تصلهم بطريقة ملتوية أو مشوَّهة، أو حتى سيئة، أو وهمية لا تتطابق مع أي حقائق واقعية. ومع ذلك، فإن إيمان الناس بالمؤسسات التي تعد حتى الآن "رواة الحقائق" يتراجع على نحو مطرد، وذلك لسببين رئيسيين. الأول هو الاعتقاد المتنامي لدى الناس بأن مجموعة النخبة التي تقود هذه المؤسسات تخدم مصالحها الخاصة من دون أي تدقيقات وتوازنات جوهرية. عندما وعد دونالد ترامب خلال الحملة الانتخابية الرئاسية في عام ٢٠١٦ "بتجفيف المستنقع" في مقاطعة واشنطن، هذا هو بالضبط ما قصده. والسبب الثاني يتعلق بالكشف عن حوادث الفساد و استغلال السلطة، مثل تلك التي جرى الكشف عنها في تسريبات إدوارد سنودن[٢٩]، أثناء " قضية أوراق بنما" Panama papers affairs [٣٠]و" فضيحة ديزلگيت[٣١]" Dieselgate scandal. هذه الأنواع من الفضائح موجودة أيضاً في الماضي، ولكن في عصر المعلومات والتكنولوجيا تمكن الناس من الكشف عن مجلدات ضخمة من المعلومات حول هذه فضائح.

بالإضافة إلى الانفجار المعلوماتي وتضاؤل الإيمان بـ "رواة الحقيقة"، فقد مكنت التكنولوجيا أيضاً ظواهر أخرى وعززتها، مثل الأخبار الكاذبة (الهجمات المتعمدة لمعلومات كاذبة)، فقاعات التصفية، والغرف البيئية – الظواهر التي كثفت المشكلة بما لا يقاس. في

الأساس، لا يملك مواطنو دولة ديمقراطية أي حل لهذه المشكلة. من أجل تحديد التصويت الذي سيتم وضعه في صندوق الاقتراع، يحتاجون إلى التفريق بين الحقيقة والرأي، والكذب المتعمد، والخطأ غير المقصود. وبالتالي، لا يمكنهم بناء أصواتهم على الحقائق الموضوعية فقط، وهم مطالبون بسد الثغرات في معرفتهم باستخدام مجموعة من المعتقدات والآراء الشخصية، ومشاعرهم تجاه هذا السياسي أو ذاك، وثقتهم أو عدم ثقتهم في مختلف مصادر نشر المعلومات وتفسيرهم الشخصي للمعلومات.

يبدو أن هذه المسألة أقل إشكالية بالنسبة لصانعي القرار في الأمن القومي، لأن معظم المعلومات الواقعية – المعلومات التي يسهل التحقق من صحتها مقابل الواقع – تصلهم من مصدر مباشر يثقون به عادةً؛ أي من وكالات المخابرات. لكن حتى الأشخاص الذين أمضوا سنوات عديدة في غرف الأمن القومي يقولون إنه في حقبة ما بعد الحقيقة، من الواضح أن صانعي القرار يفقدون الثقة في الخبراء والمهنيين، وبالتالي، يتبنى صانعو القرار في مجال الأمن القومي أيضاً الحقائق البراغماتية أو الحقائق التفسيرية، جنباً إلى جنب مع الحقيقة الواقعية. وهكذا، فإن الارتباط الحدسي للغاية الذي تقيمه نظرية المطابقة بين الحقيقة والوقائع لم يخلُ من مشاكل أبداً، ولكن في عصر ما بعد الحقيقة، والذي يتميز بانفجار المعلومات، والتكنولوجيا التخريبية، وتضاؤل الإيمان بـ "رواة الحقيقة، تتفاقم هذه المشاكل باطراد.

تقويض الأفكار: ما بعد الحداثة وظاهرة ما بعد الحقيقة

يميل الكثير ممن ينخرطون في ظاهرة ما بعد الحقيقة إلى ربطها بأفكار ما بعد الحداثة، ويميلون بشكل خاص إلى الادعاء بأن ظاهرة ما بعد الحقيقة لم تكن لتظهر لولا ما بعد الحداثة. على سبيل المثال، في مقابلة مع الگارديان[٣٢] قال دانيال دنت بأن مافعله ما بعد الحادثيون هو حقاً سيّء، وإنهم مسؤولون عن البدعة التي جعلت من السخرية من الحقيقة أمراً مقبولاً. أكد ماكنتاير[٣٣] أن فكر ما بعد الحداثة هو نذير ظاهرة ما بعد الحقيقة ، وقد استنتج دي أنكونا[٣٤] أن الأسس والجذور العميقة لعصر ما بعد الحقيقة تكمن في فلسفة ما بعد الحداثة.

ظهرت ما بعد الحداثة خلال النصف الثاني من القرن العشرين، بعد الحرب العالمية الثانية ونهاية الحرب الباردة، على خلفية معارضة الفلاسفة والباحثين الأكاديميين للأيديولوجيات الرئيسية، والسرديات الفوقية، وسيطرة المؤسسة على العلم والمعرفة، و الحقيقة. تحديد ما بعد الحداثة بعيد المنال وصعب[٣٥]، إن لم يكن مستحيلاً. إنه يشير إلى مدة زمنية، أو مشاعر مدة زمنية، وأكثر من فكرة واحدة أو نظرية واحدة.

هناك مجموعة متنوعة من فلاسفة ما بعد الحداثة (تشمل جان –فرنسوا ليوتار[٣٦]، وميشيل فوكو[٣٧]، وجاك دريدا[٣٨]، وجان بودريلار[٣٩]، وجيل دولوز[٤٠]، وفيليكس غوتاري[٤١])، بالإضافة إلى مجموعة متنوعة من النظريات والمدارس الفكرية التي ترتبط بحركة ما بعد الحداثة (بما في ذلك ما بعد البنيوية، والتفكيكية، والبناء الاجتماعي) و مجموعة متنوعة من أنواع خطاب ما بعد الحداثة في العديد من مجالات المعرفة، مثل العمارة والأدب والموسيقى واللغة والفلسفة. إن مناقشة جميع جوانب ما بعد الحداثة خارج نطاق هذه المقالة. ومع ذلك، فإن الاتجاه السائد لعزو تأثير كبير لأفكار ما بعد الحداثة على ظاهرة ما بعد الحقيقة[٤٢] يبرر مناقشة نهج حركة ما بعد الحداثة لمفهوم "الحقيقة"، بافتراض أنهما شيء واحد.

من المعتاد أن ننسب إلى ما بعد الحداثة رفض حقيقة موضوعية واحدة لصالح الكثير من الحقائق الذاتية والنسبية، والحجة القائلة بأنه لا توجد نظرية علمية واحدة حقيقية ولا يوجد ما بعد سردي واحد meta–narrative ، بل العديد من النظريات و الروايات التي تم إنشاؤها من وجهات نظر متنوعة، لا يسبق أي منها الآخر. بدأ فكر ما بعد الحداثة في الفن، وخاصة في النقد الأدبي. وحسب النظرية التفكيكية للفيلسوف الفرنسي جاك دريدا، لا يوجد نص له معنى أو تفسير واحد، ولم يتم تحديده، كما قيل في العصر الحديث، من خلال نية المؤلف أو آراء النقاد. يمكن تفسير هذا النص نفسه بعدة طرق، لا يحظى أي منها بالأسبقية على الآخر، وتكون المعاني المشتقة من هذه التفسيرات المختلفة ذاتية وتعتمد على منظور القارئ. عدد التفسيرات والمعاني هو نفسه عدد وجهات النظر.

جرى تبنّي هذه الفكرة أيضاً بسرعة من لدن علماء الاجتماع وغيرهم من الباحثين، الذين طبقوها على أي سلوك بشري، مثل الحرب والاقتصاد والسياسة والجنس. لقد رأوا "نصاً" في كل سلوك بشري يمكن أن يتلقى عدداً لا يحصى من التفسيرات من مجموعة متنوعة من وجهات النظر الذاتية. إذا لم يكن هناك معنى واحد لكل "نص" أو إذا كان تفسير واحد ليس أصح من غيره، فإن النتيجة هي أنه لا توجد حقيقة موضوعية واحدة، لأن كل شخص يدمج قيمه الخاصة وتاريخه ومعتقداته وآرائه الشخصية في تفسيره الذاتي، وأي إعلان للحقيقة ليس أكثر من انعكاس للأيديولوجية السياسية للمؤلف[٤٣].

لم يكن الطريق من السلوك البشري إلى السلوك الطبيعي طويلاً، وأكدت النظرية البنيوية الاجتماعية، من مدرسة فكر الفيلسوف الفرنسي برونو لاتور، أن العلم أيضاً لا يحتوي على سرد فوقي واحد وأنه حتى الحقيقة العلمية تعتمد على منظور شخصي، وهي في الأساس ليست نتاجاً للحقائق الموضوعية وحدها، بل هي نتاج للمشروع العلمي كمشروع اجتماعي، يجري تمويله وتوجيهه من خلال الأيديولوجيات والدوافع السياسية[٤٤].

إذا جرى تفسير مقاربة ما بعد الحداثة للحقيقة بهذه الطريقة، فإنها لا ترفض الحقائق أو الحقائق الواقعية في حد ذاتها، بل ترفض وجود سردية فوقية واحدة موضوعية يمكنها تفسير الحقائق. يدور الخلاف حول فهم أن الحقيقة الواقعية الموضوعية لا تكفي دائماً للاختيار بين مختلف النظريات والروايات، وأنه يجري تطبيق أنواع أخرى أكثر ذاتية من الحقيقة أيضاً، مثل الحقيقة المنطقية والحقيقة البراغماتية، في مجالات العلوم والأمن القومي (وإن كان أقل من ذلك في مجالات الثقافة والفن). بعد مناقشة مشاكل نظرية التطابق للحقيقة، والتي تشتد في عصر انفجار المعلومات، أصبح من السهل فهم، إن لم يكن قبول، نهج ما بعد الحداثة للحقيقة.

على عكس أولئك الذين يلومون ما بعد الحداثة بسبب ظاهرة ما بعد الحقيقة، هناك من يؤكد أنه لا ينبغي إلقاء اللوم على أفكار ما بعد الحداثة نفسها، بل على أولئك الذين يسيئون استخدامها من أجل التحريض على التخلي عن الحقيقة المستندة إلى الواقع الموضوعي لصالح حقيقة ذاتية تستند إلى الآراء والمعتقدات الشخصية. احتجَّ الفيلسوف التعددي مايكل لينش، الذي يعرّف نفسه بحركة ما بعد الحداثة التي خرجت ضد السرديات الفوقية وضد فكرة الحقيقة الموضوعية الخالية من المنظور الذاتي، بشدة على ظاهرة ما بعد الحقيقة، التي، في رأيه، تهدد المشروع العلمي والفكر النقدي والفكرة الأساسية التي مفادها أن آرائنا ومعتقداتنا يجب أن تستند إلى أدلة واقعية. وتعليقاً على تأثير ما بعد الحداثة على ظاهرة ما بعد الحقيقة، كتب يقول:

نشأ جيل ما بعد الحداثة من الإنسانيين في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي وهو لا يثق في السرديات الكبرى وفكرة الموضوعية ذاتها. ولكن بينما جعلتنا هذه الحركات ندرك بحق كيف تؤثر الخطوط الضمنية للسلطة المؤسسية والجندرية والعرقية على ما يعدّ الحقيقة في المجتمع، فقد جرى أخذها أحياناً إلى أبعد من ذلك لتشجيع الرفض الكامل – وغير المترابط في أحيانٍ كثيرة – لفكرة أن يكون شيء ما حقاً[٤٥].

في عام ٢٠٠٤، أطلق الفيلسوف برونو لاتور دفاعاً عن العلم ومؤسساته ضد خطاب ما بعد الحداثة حول الفن والثقافة والذي يتسرب بدوره إلى الخطاب العلمي. في مقال بقلم آفا كوفمان، تناولت مقاربته لظاهرة ما بعد الحقيقة، كتبت أن لاتور، الذي تماهى مع حركة ما بعد الحداثة بسبب مقاربته البنائية تجاه العلم والحقائق، كان قلقاً من الأساليب التي يتبعها هو ورفاقه – أو على الأقل تلك المبسطة والمشوهة في الرسوم الكاريكاتورية الغربية – أعطى ترخيصاً لنسبية "كل شيء مباح" التي كان المحافظون الساخرون سعداء جداً بتبنيها من أجل مهاجمة العلم ومؤسساته، لإثارة الشك حول النظريات العلمية المقبولة، مثل التطور، ورفع النظريات المنافسة، مثل نظرية التصميم الذكي. وطبقاً لكوفمان، فإن تصريح

لاتور هذا لا ينبغي أن يُفهم على أنه "توقف عن الإيمان" بمواقفه التقليدية وتراجع عنها؛ على العكس تماماً، فعلى وفق بنيوية لاتور، فإن الحقائق ليست موضوعية، ليس لأنه لا يوجد واقع ولا توجد حقائق، بل لأن الحقائق تتوقف على الوعي والأنشطة البشرية ويجري إنشاؤها أو "بناؤها" أثناء عمليات البحث العلمي البشري. وحسب لاتور، فإن ظاهرة ما بعد الحقيقة ليست نتاج أفكاره وأفكار شركائه؛ وبدلاً من ذلك، فإن الظاهرة تثبت صحتها: عندما يتصل الناس بحقيقة كما لو كانت نتاجاً لهيكل البحث العلمي، المدعوم من قبل "شبكة" من مؤسسات ومنهجيات البحث، يصبح من السهل فهم أنه عندما يجري تقويض هذه "الشبكة"، تتقوض معها الحقائق التي" شيدتها "ودعمتها[٤٦].

يصف ماكنتاير، الذي يشير أيضاً بإصبع الاتهام إلى ما بعد الحداثة، تصريحاته بشكل طفيف ويقول إنه واثق من أن مزيداً من الدراسة لنصوص ما بعد الحداثة ستساعد في تقويض شرعية إساءة استخدام أفكار ما بعد الحداثة من أجل تعزيز أيديولوجية جناح اليمين – وهي أيديولوجية تقدم سرديات بديلة عن السرد الفوقي الليبرالي للجناح اليساري. وعلى وفق ماكنتاير، لا يبدو أن الجناح اليميني مهتم جداً بالتعمق في الأفكار التي يستعيرونها ويستخدمونها كأدوات للطرق على الجناح اليساري[٤٧].

في كتابها "الحقيقة والسياسة"، اتفقت أرندت مع ادعاء ما بعد الحداثة بأن الحقائق لا يمكن معرفتها من دون درجة معينة من التفسير ومن دون السماح بالمنظور. ومع ذلك، على وفق أرندت، حتى لو اعترفنا بحق كل جيل في كتابة تاريخه الخاص، فيمكنه فقط إعادة ترتيب الحقائق، ولكن لا يمكنه تغييرها[٤٨].

باختصار، على الرغم من أنه لا ينبغي اعتبار ما بعد الحداثة شرطاً ضرورياً لظهور ظاهرة ما بعد الحقيقة، يمكن للمرء أن يقول إن أفكار ما بعد الحداثة كان لها تأثير عليها. حتى لو لم يرفض نهج ما بعد الحداثة الحقائق والواقع ولا يتخلى تماماً عن الحقيقة الواقعية الموضوعية، فإنه يضع الأساس للتشكيك في موضوعية الحقيقة وكمالها، ويضفي الشرعية على الخطاب الشعبوي ما بعد الحداثي" الزائف للتنوع "كل شيء مباح" و"هذه هي حقيقتي". ومع ذلك، من المهم أن نضع في اعتبارنا أن هذا الخطاب ذي المستوى المتدني لا ينبع من فهم متعمق لأفكار ما بعد الحداثة، بل ينبع من تشويهها والتقليل من شأنها. يستخدم اليمينيون المحافظون هذه الأفكار المشوهة كأدوات لمهاجمة الجناح اليساري الليبرالي ولإعطاء وزن أكبر للتفسير الذاتي وأنواع مختلفة من الحقائق، مثل الحقيقة المنطقية أو الحقيقة البراغماتية، في مجالات مثل العلم والأمن القومي، وهي مجالات يجب أن يعطى الثقل الأساسي فيها للحقيقة الواقعية.

معارك سياسية حول معايير الحقيقة: أطروحة ويلارد كواين حول نقص الحسم

حتى أولئك الذين يحذِّرون من فلاسفة ما بعد الحداثة ويرفضون تماماً نهج ما بعد الحداثة عن الحقيقة، ويصرون على توجيه أصابع الاتهام إليها، لا يمكنهم اتباع هذا النهج تجاه أحد أعظم علماء المنطق في القرن العشرين – ويلارد فان أورمان كوين (١٩٠٨–٢٠٠٠) – ونحو أطروحته حول نقص تحديد النظريات العلمية من خلال الأدلة التجريبية. تؤكد أطروحة عدم التحديد على أن نفس مجموعة البيانات التجريبية يمكن أن تدعم نظريات علمية مختلفة بل و متناقضة أيضاً، أو بعبارة أخرى – يمكن تفسير نفس البيانات التجريبية باستخدام نظريات مختلفة، بما فيها النظريات التي تتعارض مع بعضها البعض[٤٩].

يعترف العلم بالتفسيرات المختلفة لفيزياء الكم، مثل نظرية "المتغير الخفي" و "تفسير العوالم المتعددة" لميكانيكا الكم، والتي تقدم تفسيرات صحيحة وتنبؤات دقيقة لنفس الحقائق التجريبية، على الرغم من أنّ الأنطولوجيات التي تقدمها، أعني السرديات التي يروونها عن بنية العالم، مختلفة تماماً. يمكن أيضاً تطبيق أطروحة كواين حول "نقص التحديد" في مجال الأمن القومي. تتيح الحقيقة التجريبية المتمثلة في "توقيع إيران على الاتفاقية النووية، التي تحد من قدرتها على تطوير سلاح نووي" سرد أكثر من رواية واحدة: "وقعت إيران على الاتفاقية لأنها تدرك أن استقرارها الاقتصادي واستقرار نظامها أكثر أهمية من التراكم النووي، وهي تنوي احترام الاتفاقية"، فضلاً عن أن "إيران لا تنوي احترام الاتفاقية، وقد وقعت عليها من أجل الحصول على تخفيض في العقوبات المفروضة عليها و "تهدئة" لنا، وستواصل تطوير سلاح نووي، رغم القيود التي يفرضها الاتفاق". في هذه الحالة، كما هو الحال مع معظم القضايا الموضوعة على طاولة صانعي القرار في الأمن القومي، فإن الحقيقة الواقعية لا تكفي للاختيار بين الروايات وتحديد أي منها صحيح. حتى لو أضيفت حقائق إضافية، فمن غير المؤكد أنها ستكون كافية لتمكين الاختيار النهائي بين الروايات[٥٠].

إذا كان هذا هو الحال، فكيف يقرّر المرء أي رواية يقبلها؟ ستكون معايير اتخاذ القرار دائماً خارج الرواية. في العلم، يجري اختيار النظرية بناءً على اعتبارات غير نظرية، مثل الأناقة والبساطة والامتثال لمعايير البحث المقبولة، ولكن أيضاً على أساس اعتبارات التمويل والمواءمة مع مصالح القوى السياسية. في السياسة، ستكون السلطة السياسية، والقوة الاقتصادية، والكاريزما، وقوى الإقناع، وأحياناً غرس الخوف، عوامل حاسمة. كذلك أيضاً، في كثير من الحالات المتعلقة بالأمن القومي، لن يتم اختيار الرواية المنتصرة بناءً على الحقائق البحتة فحسب، بل أيضاً على المعرفة الاستخبارية السائدة في ذلك الوقت، وعلى الحدس والخبرة الشخصية لصانعي القرار في القيادة الأمنية، و حول الآفاق السياسية ومصالح القيادة السياسية political echelon[٥١].

لا شيء من هذا جديد. لطالما كانت نظرية كواين عن نقص التحديد صالحة ولا تزال، كما أن المنافسة بين الروايات والنظريات لشرح الحقائق نفسها كانت موجودة دائماً. خلال المقابلات والمحاضرات التي قُدِّمت عند إطلاق كتابه الجديد حول ظاهرة ما بعد الحقيقة، أكد الفيلسوف ستيف فولر[٥٢]، أن هذه الظاهرة ليست جديدة، وأن أصولها يمكن العثور عليها بالفعل خلال أيام أفلاطون. في الحوار السقراطي في الجمهورية، أكد أفلاطون أن الملك الفيلسوف يجب أن يحمل المعرفة والحقيقة، ويجب على جميع مواطني أثينا الاعتماد على معرفته وأن يستمدّوا التمييز بين الحقيقة والباطل منه. كانت هذه معادلة أفلاطون لمجتمع مستقر، وأي طريقة أخرى لحكم بلد ما، في رأيه، ستؤدي إلى الفوضى. نتيجة لذلك، عارض أفلاطون الكتّاب المسرحيين والشعراء الذين تحدوا الموقف الحاكم وقدموا لجمهورهم بدائل هي مجرد افتراءات. وعلى وفق فولر، فإن ما يحدث في عصر ما بعد الحقيقة اليوم هو بالضبط ما كان يخشى أفلاطون حدوثه – معارك بين القوى السياسية التي تتنافس ضد بعضها البعض على الحقيقة. وفي رأي فولر، المعارك التي دارت في حقبة ما بعد الحقيقة الحالية ليست معارك من الدرجة الأولى حول ما هو صحيح وما هو خاطئ، بل هي معارك من الدرجة الثانية حول معايير الحقيقة وعلى وجه الخصوص، حول من يحدد ما هي هذه المعايير. بمعنى آخر، من سيصمم ويقرر قواعد اللعبة – الملك الفيلسوف أم الكتّاب المسرحيون والشعراء، المؤسسة العلمية والجناح اليساري الليبرالي أم منكرو الاحتباس الحراري والجناح اليميني المحافظ ، مثل دونالد ترامب واليمين. أنصار بريكست؟ يظهر الأخير على المسرح العام كما ظهر الكتاب المسرحيون والشعراء في اليونان القديمة على خشبة المسرح ويقدمون روايات بديلة لحقيقة المؤسسة المقبولة ويكتسبون مكانة بارزة بسبب جاذبيتهم وقدراتهم في الإقناع. وباستخدام استعارة مكيافيلي[٥٣]، ظاهرة ما بعد الحقيقة هي التنافس على الحقيقة بين الأسود التي تمثل المؤسسة، والثعالب الثورية، بينما يرى توماس كون[٥٤] أن هذه منافسة على الحقيقة بين المجتمع العلمي الذي يحمل النموذج الحاكم في فترة معينة والثوار الذين يقترحون نموذجاً جديداً.واسناداً إلى فولر، فإن المعركة السياسية حول معايير الحقيقة وحول قواعد اللعبة هي أيضاً معركة حول من يمكنه أن يكون لاعباً في الميدان: في عصر الحقيقة، كان اللاعبون هم العلماء الذين تعلموا من أجل ذلك – الفيلسوف – الملك والقضاة والعلماء والأكاديميون والصحفيون المحترفون. كل هؤلاء يتفقون فيما بينهم على معايير الحقيقة ويقررون ما هو صحيح وما هو خطأ. في حقبة ما بعد الحقيقة، لم تعد سلطة الاختيار بين الروايات مملوكة للمصادر العرفية للسلطة، بل بالأحرى يمتلكها أي شخص يقف في مواجهة مصادر السلطة هذه ("ترامب" و "أنصار البريكست")

ويؤكد الروايات البديلة التي كانت تعتبر سابقاً خاطئة أو مستحيلة ولكنها مقبولة اليوم على الأقل على أنها شيء يبدو صادقاً (تمام الصدق)، أو كشيء يمكن اعتباره حقيقة معقولة.

ظاهرة ما بعد الحقيقة: ما الجديد ولماذا الآن؟

الجديد في ظاهرة ما بعد الحقيقة في يومنا هذا هو تقارب الخصائص الأربع البارزة للظاهرة، والتي أدت إلى تكثيف المشاكل المتأصلة في نظرية المطابقة وقوَّضت مكانة الحقيقة الواقعية: انفجار المعلومات والتكنولوجيا التخريبية؛ تضاؤل الإيمان بالمؤسسات و "الذين يقولون الحقيقة". أفكار ما بعد الحداثة، التي تسربت إلى مجالات مثل العلوم والأمن القومي وأرست الأساس لخطاب دون المستوى حول الحقيقة؛ والمعارك السياسية المريرة حول معايير الحقيقة. يخلق التقارب بين هذه الخصائص الأربع نواعاً من التداخل من أربع "موجات ذروة" تخلق معاً موجة مشتركة ذات سعة أكبر. يتحدى هذا التدخل قدرتنا على توضيح الواقع بطريقتين من أجل فهمه والعمل ضمنه على أساس الحقائق[٥٥].

التحدي الأول، المسمى هنا "تحدي التطابق مع الوقائع"، يجادل بأن المسافة بين مستهلكي المعلومات والحقائق في الواقع التي تدعمها تتزايد باطراد بسبب انفجار المعلومات والتكنولوجيا التخريبية، حتى يكاد يكون من المستحيل ربطها بها، وأن المعيار الأساسي الثاني لتنفيذ نظرية المطابقة – العلاقة المباشرة بين المعلومات والحقائق التي تدعمها – يكاد يكون بعيد المنال. في مثل هذه الحالة، يضطر مستهلكو المعلومات إلى الاعتماد على "رواة الحقيقة"، ولكن بما أن الإيمان بهم يتضاءل أيضاً، فإن الحقيقة القائمة على الوقائع (في نسختها في نظرية المطابقة) تفقد موقعها المركزي وتوجد حقائق أخرى بجانبها، والتي تستند إلى الآراء والمعتقدات والتفسيرات الشخصية[٥٦]. التحدي الثاني، المسمى هنا "تحدي الحقائق البديلة"، يتضح أكثر فأكثر في حقبة ما بعد الحقيقة الحالية – إنكار الحقائق المكتشفة، وتفضيل الحقائق التي تتوافق مع رأي الشخص وتعززه على الحقائق التي تدحضه، وتلفيق "حقائق" لم تكن موجودة. على سبيل المثال، فيما يتعلق بأولئك الذين يعارضون التطعيمات ضد الأمراض وأولئك الذين ينكرون الاحترار العالمي، فهم لا يروون قصة أخرى عن نفس الحقائق ويقترحون نظرية منافسة للنظرية العلمية المقبولة، ولكنهم ينكرون أيضاً الحقائق التي تم اكتشافها في الواقع ومشاهدتها خلال عدد لا يحصى من التجارب العلمية على مدى سنوات عديدة من الخبرة البشرية، ويفضلون الحقائق التي تدعم وتعزز إيمانهم على الحقائق التي تدحضه[٥٧].

عندما ادّعى دونالد ترامب أن مليون ونصف شخص حضروا حفل تنصيبه، في حين أثبتت الصور الجوية عكس ذلك، وعندما خرج المتحدث باسم البيت الأبيض شون سبايسر مدافعاً عن ترامب وأصرَّ على أن "هذا كان أكبر جمهور شهد حفل التنصيب على الإطلاق،

لقد اختلقوا حقائق لم تكن موجودة في الواقع. وعندما سُئلت كيليان كونواي، مساعدة ترامب ومديرة حملته الانتخابية، عن سبب تأكيد المتحدث باسم البيت الأبيض على ما فعله، على الرغم من أن الحقائق تثبت خلاف ذلك، فأجابت، "لدينا حقائق بديلة"، كانت تشير – من الواضح دون نية للقيام بذلك – على وجه التحديد إلى هذه الحقائق الملفقة. بالفعل في عام ١٩٦٧، قالت أرندت[٥٨] إن الأكاذيب كانت دائماً تُعَدُّ أدوات مبررة للسياسيين ورجال الدولة. ومع ذلك، يبدو أن أكاذيب الماضي كانت أكثر ليونة: يمكن للرئيس نيكسون أن يؤكد أنه ليس محتالًا، لأن مصطلح "محتال" يمكن تفسيره بطرق مختلفة، ولم يكن نيكسون، بالطبع، ينظر إلى نفسه على هذا النحو؛ ويمكن للرئيس كلينتون أن يؤكد أنه لم تكن له علاقات جنسية مع مونيكا لوينسكي لأنه أضفى تفسيراً صارماً لمصطلح "العلاقات الجنسية". ودائماً ما قدم السياسيون وعوداً لناخبيهم خلال الحملات الانتخابية لم ينووا أبداً الوفاء بها. على الرغم من ذلك، فإن اللامبالاة بالأكاذيب الصارخة، في الوقت الراهن، واضحة لدرجة أن المتحدث لا يهتم كثيراً بقيمة الحقيقة في تصريحاته – مثل "الهراء تماماً[٥٩].

يمكن للفلسفة أن تقدم إجابة جزئية فقط على السؤال الرئيسي "لماذا الآن؟" جرت صياغة الرد الذي تقترحه هذه المقالة باستخدام الخصائص الأربع لظاهرة ما بعد الحقيقة والتحديين لتوضيح الواقع الذي تم إنشاؤه بسبب تداخل الخصائص الأربع: يشتد تحدي التطابق مع الحقائق بسبب المسافة المتزايدة بين المعلومات والحقائق التي تدعمها، والتي تنبع من التكنولوجيا التخريبية وانفجار المعلومات، ونتيجة لتضاؤل الإيمان بـ "رواة الحقيقة"؛ ويتزايد تحدي الحقائق البديلة بسبب المعارك السياسية المريرة المتزايدة في المدة الراهنة – اليسار مقابل اليمين، والليبراليون مقابل المحافظين، والعلم مقابل الدين – وبسبب أفكار ما بعد الحداثة، التي أرست الأساس للتشكيك في الحقيقة و الوقائع والخطاب المشوه والسطحي "كل شيء مباح". إنها تخترق وتؤثر في الخطاب العام أكثر مما كانت عليه في الماضي، نتيجة للتكنولوجيا التي تنشرها بحيث يتردد صداها وينتشر. يُقترح هنا، بالتالي، تعريفاً بديلاً لتعريف قاموس أكسفورد لمصطلح "ما بعد الحقيقة": "مصطلح يشير إلى الظروف التي تضعف فيها قدرتنا على توضيح الواقع من أجل فهمه ومن أجل العمل فيه على أساس الحقائق نتيجة للتداخل عالي الشدّة لأربع موجات ذروة: انفجار المعلومات والتكنولوجيا التخريبيةً؛ تضاؤل الإيمان في المؤسسات وفي "رواة الحقيقة"؛ أفكار ما بعد الحداثة التقويضة؛ ومعارك سياسية مريرة.وفي الختام، لا شيء يلقى صدى أفضل من الاستشهاد ببيان حنّا أرندت: إن نتيجة الاستبدال المتسق والكامل للأكاذيب بالحقيقة الواقعية ليست أن الأكاذيب ستقبل الآن على أنها حقيقة، وأن الحقيقة سيجري التشهير بها على أنها أكاذيب،

بل أن المعنى الذي من خلاله نتخذ اتجاهاتنا في العالم الحقيقي – و مقولة "الحق مقابل الباطل" التي هي من بين الوسائل العقلية لتحقيق هذه الغاية – يجري تدميره[٦٠].

الهوامش حسب ورودها في متن البحث

[1] Jennifer Grygiel, President rages as Twitter labels White House disinformation, Copyright © 2010–2020, The Conversation Media Group Ltd.

[2] Howard Zinn,The Real Christopher Columbus, https://www.jacobinmag.com/2014/10/the-real-christopher-columbus/

[3] Yuval Noah Harari extract: 'Humans are a post-truth species' 2020Guardian News & Media Limited or its affiliated companies.

[4] Ibid.

[5] Ibid.

[6] Ibid.

[7] Ibid.

[8] Oxford Dictionary, "Word of the Year 2016," 2016, https://en.oxforddictionaries.com/word-of-the-year/word-of-the-year-2016.

[9] Steve Tesich, "A Government of Lies," The Nation, January 6, 1992.

[10] Ralf, Keyes, The Post-Truth Era, st. Martin's press, New York, 2004.

[11] Lee McIntyre, Post-Truth, "Massachusetts Institute of Technology press", London,2018, p.19.

[12] Yael Brahms, Philosophy of Post-Truth, Institute for National Security Studies (2020).p.1.(Stable URL: http://www.jstor.com/stable/resrep23537).

[13] Lee McIntyre, Post-Truth, p.20.

[14] George Orwell, Politics and the English Language (Peterborough: Broadview Press, 2006), p. 258..

[15] Hannah Arendt, "Truth and Politics," The New Yorker, February 25, 1967.

[16] Matthew d'Ancona, Post-Truth: The New War on Truth and How to Fight Back (London: Ebury Press, 2017).

[17] Yuval Noah Harari, 21 Lessons for the 21st Century (Kinneret-Zmora-Bitan Dvir, 2018); Yuval Noah Harari, "Yuval Noah Harari Extract: 'Humans are a Post-Truth Species,'" The Observer, August 5, 2018, https://www.theguardian.com/culture/2018/aug/05/yuval-noah-harari-extract-fake-news-sapiens-homosdeus.

[18] Lee McIntyre, Post-Truth (London and Cambridge: MIT Press, 2018).

[19] Carole Cadwalladr, "Interview with Daniel Dennett," The Guardian, February 12, 2017.

[20] Michael Marmot, "Post-Truth and Science," The Lancet 389, No. 10068 (2017): 497-98.

[21] Harry G. Frankfurt, On Bullshit (Princeton and Oxford: Princeton University Press, 1986).

[22] D'Ancona, Post-Truth: The New War on Truth and How to Fight Back (London: Ebury Press 2017).

[23] Hannah Arendt, "Understanding and Politics," Partisan Review 20, No. 4 (1953): 377-392.

[٢٤] أرسطو "الميتافيزيقا" ضمن: إمام، عبد الفتاح إمام. (٢٠١٠) مدخل إلى الميتافيزيقا، مع ترجمة كتاب أرسطو (الميتافيزيقا) (القاهرة: مكتبة نهضة مصر،ص٣٤٢).

[25] ابن سينا. (الإلهيات)- موقع الوراق الإلكتروني، ص١٧.

[٢٦] ابن سينا. (١٤٠٥ هـ) منطق المشرقيين (إيران، قم: مطبعة الولاية)،ص٦٠.

[٢٧] الفرفار العياشي، الحقيقة، ماذا يخفي هذا المفهوم، الحوار المتمدن، ٢٠١٩.

[28] Michael Lynch, Truth as One and Many (Oxford: Oxford University Press, 2009).

[29] The leaks were published in June 2013 in The Guardian and in the Washington Post.

[30] "The Panama Papers" is a collection of 11.5 million confidential documents of the law firm Mossack Fonseca of Panama that an anonymous whistleblower leaked to the German newspaper Süddeutsche Zeitung. The incident was published in April 2016.

[31] "Dieselgate" was a scandal about the forging of the results of emissions tests in Volkswagen cars in violation of the Clean Air Act, which was exposed in September 2015.

[32] Cadwalladr, "Interview with Daniel Dennett."

[33] McIntyre, Post-Truth, p. 126.

[34] D'Ancona, Post-Truth, p. 91.

[35] See for example: Gary Aylesworth, "Postmodernism," in The Stanford Encyclopedia of Philosophy, ed. Edward N. Zalta, 2015, https://plato.stanford.edu/archives/spr2015/entries/postmodernism/; d'Ancona, Post-Truth, p. 91; Michael Lynch, True to Life: Why Truth Matters (Cambridge, MA: MIT Press, 2004), pp. 35-36.

[36] See for example: Jean-François Lyotard, The Postmodern Condition (Manchester UK: Manchester University Press, 1997)..
[37] See for example: Michel Foucault, History of Madness (London & New York: Routledge, 2006).
[38] See for example: Jacques Derrida, Of Grammatology (Baltimore: Johns Hopkins University Press,
1998).
[39] See for example: Jean Baudrillard, Simulacra and Simulation (Michigan: University of Michigan Press, 1994).
[40] See for example: Gilles Deleuze and Félix Guattari, What is Philosophy? (New York: Columbia University Press, 1996).
[41] See for example: Cadwalladr, "Interview with Daniel Dennett"; McIntyre, Post-Truth, pp. 123-50; d'Ancona, Post-Truth.

[43] McIntyre, Post-Truth, pp. 125-26..
[44] Ibid. pp. 128-29.
[45] Michael P. Lynch, "Teaching Humility in an Age of Arrogance," The Chronicle Review, June 5, 2017.
[46] Jean-François Lyotard, *The Postmodern Condition (*Manchester UK: Manchester University Press, 1997).
[47] McIntyre, *Post-Truth*, pp. 126-27
[48] Arendt, "Truth and Politics."
[49] Stanford Kyle, "Underdetermination of Scientific Theory," in *The Stanford Encyclopedia of Philosophy*, ed. Edward N. Zalta, 2017.
[50] Yael Brahms, Philosophy of Post-Truth,Institute for National Security Studies (2020), p.14.
[51] Ibid, p.15.
[52] Steve Fuller, "Post-Truth," *Serious Science*, December 16, 2017, https://www.youtube.com/watch?v=M4Rwca7k_Fs; Steve Fuller, "The Dialectic of Politics and Science from a *Knowledge As a Power Game* (London: Anthem Press, 2018); Steve Fuller, "Post-Truth – with Prof. Steve Fuller," *Virtual Futures Salon*, August 23, 2018, https://www.youtube.com/watch?v=RKDEAFYhPm8.
[53] Niccolò Machiavelli, *The Prince* (reprinted by Chicago: University of Chicago Press, 1998).
[54] Niccolò Machiavelli, *The Prince* (reprinted by Chicago: University of Chicago Press, 1998).
[55]Yael Brahms, Philosophy of Post-Truth,Institute for National Security Studies (2020), p.16.
[56] Ibid, p.16.
[57] Ibid, p.16.
[58] Arendt, "Truth and Politics."
[59] Yael Brahms, Philosophy of Post-Truth,Institute for National Security Studies (2020), p.17.
[60] Arendt, "Truth and Politics."